التصور الاسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة

محمد الباقر حاج يعقوب*

ملخص البحث

يعد هذا البحث محاولة لمعالجة قضية التصور الإسلامي للعلم بالرجوع إلى تلك النصوص الإسلامية المعبرة لها بالتحليل والتنظير من أجل الوصول إلى ضبط أثر هذا النوع من التصور في تشكيل نوعية الإدارة للمعرفة، وهي تلك النظرية الأصولية التي تحقق النمو والتقدم في كثير من مجالات الحياة الفردية والاجتماعية والتنظيمية. حقا، كان من المفترض عند تمكننا من إدارة معارفنا، حينئذ سوف يمكننا أن ننظر إلى أحوالها السلوكية والوظيفية، واحتياجاتها الضرورية للتطور والنمو في الواقع العملي. ومن البديهي أيضا أن نقول، عندما عجزنا من فهم طبيعة العلم والمعرفة، وكيف يمكننا أن ننظمهما ونستفيد بهما في تحقيق مصالحنا؟

الكلمات المفتاحية: العلم، التصور الإسلامي له، أثر هذا التصور، إدارة المعرفة، النصوص الإسلامية

Abstract

This research is an attempt to address the issue of Islamic conception of science in light of the relevant Islamic texts by analysis and theorizing in order to formulate this kind of conception in shaping the quality of the management of knowledge. It is a basic concept that leads to growth and progress in many areas of individual, social and organizational life. Indeed, we are supposed to have it while we manage our knowledge, so to look at its behavioral and functional conditions and its necessary need for growth and development in practical reality. It is also obvious to say that when we fail to understand the nature of science and knowledge, how can we be able to organize and benefit from it in achieving our interests?

Key words: Science, Islamic Concept of Science, The Impact of this Perception, Knowledge Management, Islamic Texts

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معرف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

Abstrak
Kajian ini adalah satu percubaan untuk menyampaikan isu konsepsi Islam terhadap sains berdasarkan teks-teks Islam yang berkaitan dengan cara menganalisis dan membina teori untuk merumuskan konsepsi ini bagi membentuk pengurusan ilmu yang berkualiti. Ia adalah konsep asas yang membawa kepada pertumbuhan dan kemajuan di banyak bidang kehidupan seorang individu, sosial dan organisasi. Sesungguhnya kita harus memilikinya sementara kita mengurus ilmu kita, supaya kita boleh melihat syarat-syarat tingkah lakunya dan fungsinya dan keperluannya untuk pertumbuhan dan pembangunan dalam realiti praktikal. Ia juga jelas mengatakan bahawa apabila kita gagal untuk memahami sifat sains dan ilmu, bagaimana kita boleh mengatur dan bermanfaat daripadanya bagi mencapai kepentingan kita?

Kata Kunci: Sains, Konsep Islam Terhadap Sains, Kesan Persepsinya, Pengurusan Ilmu, Teks-teks Islam

مقدمة

تعد قضية العلم من القضايا أساسية في تعاليم الإسلام وممارساته. وقد نزلت أولى آية الوحي تأمر البشرية في القراءة والبحث عن العلم والحقيقة. أي على الإنسان أن يعيش على وجه الأرض معتمدا على العلم واليقين، ولا ينبغي له أن يقلد الآخرين، ولا أن يبقى أعمى. انطلاقا من الواقع العولمي الذي نعيش فيه اليوم، يهدف هذا البحث إلى التعرف على طبيعة العلم ومراجعة المفاهيم المحيطة لهذا المصطلح، ليصل في النهاية إلى تلمس الفروق المؤثرة على كيفية تشكيل نوعية الإدارة للمعرفة، وضبط مبادئها النظرية والتطبيقية، سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعة في تنظيم المعارف والنهوض بقدرة الأداء للمؤسسة. هذا يعني أن الدراسة تركز على تفهم طبيعة العلاقة التي تربط العلوم والمعارف التي يمتلكها الإنسان في محاولته لإدارتها في واقع ممارسته العملية لتلك العلوم والمعارف. وذلك لأن الفهم لهذه العلاقة تؤدي إلى رفع مستوى الوعي والإدراك لأهمية المعرفة وتفعيلها على أرض الواقع. هذا معنى احتياج

العلم والمعارف إلى الإدارة، بحيث إنها في حاجة إلى المنهج الفعال في توليد فروعاتها ونشرها وتقاسمها في مجتمع العلم والمعرفة. كاحتياجها أيضًا إلى وسائل التسهيل ومراتيب التطبيق، معتمدة على أن الترويج للعلم والمعرفة في ساحة المجتمع تحقق الكفاءات المهنية للأفراد وترفع مستوى أدائهم، وتحقق أيضًا الرابطة التعاونية بين الأعضاء وتعزيز القدرة التنافسية في الحَلبة العالمية. ومن الملحوظ هنا أن هذه الدراسة تنظر إلى مصطلح العلم والمعرفة على أنهما موردان يمكن الاستفادة منهما، واستخدامهما في توفير الثروة، وتعزيز جودة الحياة للأفراد وكذلك للمجتمع؛ فإن العديد من البلدان المتقدمة قد اكتشفت أن التكنولوجيا وحدها لا تكفي، بل إن غرس العلم والمعرفة وتنميتها هي حجر الزاوية في السعي نحو التنمية المستدامة.

مفهوم العلم والمعرفة

مما يميز الإنسان عن غيره، تمكنُّه من استيعاب العلم والمعرفة، ويصبح مقترنا بهما عند الذكر والفهم. ولكن ما شأنه اليوم؟ وكيف يمكن للإنسان أن يرضى لنفسه من يقول: إن أصل الإنسان من قرد؟ وما هو السبب المؤدي إلى هذه الخلاصة؟ وفي هذا السياق، يفترض البحث أن الإشكالية تعود إلى نوعية التصور تجاه العلم والمعرفة في عصرنا الحاضر. لهذا، سوف يعالج البحث هنا المفاهيم التي تدور حول مصطلح "العلم" و"المعرفة". وبالرغم من وجود المحاولة للتمييز بين المصطلحين إلا أنه كثيرا ما يستخدم العلم في موضع المعرفة والعكس كذلك، وأنهما في الغالب مصطلحان متبادلان في الاستخدام ومترادفان في السياقات العامة[1].

تعريف "العلم" لغة:

إن كلمة "العِلْم" بكسر الأول ثم السكون جاءت مصدرًا لمادة "ع، ل، م" التي معناها المعرفة. وأما العلم بمعنى الفن فجمعُه "العلوم". وتدور مشتقات

[1] العلواني، طه جابر، **الأزمة الفكرية المعاصرة**، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1994م).

"العلم" الكثيرة حول نطاق العقل ووظائفه كالعالم الذي جمعه العلماء، والمعلومة التي جمعها المعلومات. ويفهم من هنا، أن استخدام كلمة "العلم" لغويا للدلالة على إدراك الشيء بحقيقته والدراية به، أو تلك الحقيقة المخزونة في العقل البشري كاليقين بتلك الحقيقة. وعندما استخدم متعديا في مثل (عَلِمَ الشيءَ يَعْلَمُهُ عِلْمًا) فهو بمعنى عرفه، وقد يضمن معنى (شعر بذلك الشيء أو تلك الحقيقة) فتدخل الباء للتعدية، في مثل قولهم: علمته وعلمت به وأعلمته الخبر وأعلمته به وما إلى آخره[2].

تعريف العلم اصطلاحا:

أما معنى "العلم" في الاصطلاح فيأتي للدلالة على مجموعة الحقائق والوقائع والنظريات، والمعلومات التي تزخر بها المؤلفات العلمية. كما يعرف العلم بأنه "نسق المعارف العلمية المتراكمة أو هو مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها"، أو هو مصدر لكل نوع من أنواع المعارف وتطبيقاتها. وهو مجموع مسائل وأصول كليّة تدور حول موضوع أو ظاهرة محددة وتعالج بمنهج معين وينتهي إلى ضبط نظرياتها وقوانينها. ويعرف أيضًا بأنه "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وحصول صورة الشيء في العقل. وعندما نقول: إن "العلم هو مبدأ المعرفة وعكسه الجَهْلُ، أو إدراك الشيءِ على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، فيشمل معنى هذا المصطلح في استعماله العام أو التاريخي مجالات متنوعة للمعرفة، ذات مناهج مختلفة مثل الدين (علوم الوحي)، والإنسان (علوم الإنسان)، والفلك (علم الفلك)، والنحو والصرف، والتفسير، والحديث، والمنطق والفلسفة، ... إلخ.

---

[2] أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، **المصباح المنير**، (بيروت: المكتبة العلمية)، ص162؛ ومحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، (بيروت: دار النفائس، ط2، 1408هـ/1988م)، ص320.

وبتعريف أكثر تحديدًا: العِلْمُ هو منظومة من المعارف المتناسقة التي يعتمد في تحصيلها على المنهج العلمي دون سواه، أو مجموعة المفاهيم المترابطة التي نبحث عنها ونتوصل إليها بواسطة هذا الرابط

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85-citenote-3

عبر التاريخ، ثم انْفصلَ مفهوم العِلم تدريجيًّا عن مفهوم الفلسفة التي تعتمد أساسًا على التفكير والتأمل والتدبر في الكون والوجود عن طريق العقل، ليتميز في منهجه باتخاذ الملاحظة والتجربة والقياسات الكمية والبراهين الملموسةوسيلة لدراسة الطبيعة، وصياغة فرضيات وتأسيس قوانين ونظريات لوصفها. والعلم بما سبق تعريفه، يفيد أيضًا معنى الإحاطة والإلمام بالحقائق وطريقة التفكير عنها والمنظومة الفكرية التي تنتج تلك الحقائق مشتملة على مجموعة الفرضيات والنظريات والقوانين والاكتشافات المبينة لحقيقتها، بل وكل ما يتصل بها، وهو ما يصطلح عليه في الإجليزية بمصطلح (science) مشتقة من كلمة (scientia) اللاتينية الذي تغلب في كينونته شروط "البينة والوضوح"، ويقابله مصطلح "المعرفة" (knowledge) الذي يعنى الدراية والإدراك بالحقيقة العلمية، وتغلب في طبيعتهانوعية طريقة تفكير أوبحث عن الحقائق أكثر من تمثيله للقوانين الثابتة[3].

تعريف المعرفة لغة:

أما "المعرفة" فهي مشتق من مادة "ع، ر، ف"، ومثلها كلمة "العرفان". قد ورد في تاج العروس على أن كلمة "المعرفة" تدل على إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، والمقصود بالإدراك هنا، أن يتوصل إنسان على علم من العلوم أو حقيقة من الحقائق بالجزئيات القابلة إدراكها عن طريق الحواس الخمس، وعندما تحقق للإنسان إدراك جزء من أجزاء علم ما فأصبح عارفًا

[3] ttp://ar.wikipedia.org/wiki/

بذلك الشيء، ويتحقق له معرفة حقيقة ذلك الجزء تحقيقًا أم تجريبيًّا أو ملاحظة. هذا يفيد أن "المعرفة" أخص دلالة من العلم الذي عرفناه أعلاه. وهذا المعنى يفيد أيضًا أن "المعرفة" يضادها "الإنكار" بالشيء نتيجة افتقاد الإدراك به. فبناءًا على ما تقدم من النقاش يقال[4]: "فلان يعرف الله ورسوله"، ولا يقال: "يعلم الله" متعديًا إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله تعالى هو تدبر آثاره دون إدراك ذاته". وقد يُراد به إدراك الجزء دون الكل فيقال مثلا: "عرفت الله"، ولا يقال: "علمت الله".

تعريف المعرفة اصطلاحا:

أما معنى "المعرفة" في الاصطلاح فهو يعني الاطلاع على الوقائع أو الحقائق أو المبادئ، سواء من الدراسة أم من التقصي. وقد يراد بالمعرفة هو إدراك البيانات والمعلومات والإرشادات والأفكار التي يحملها الإنسان أو يمتلكها المجتمع في سياق دلالي وتاريخي محدد، وتوجه السلوك البشري، فرديا وجماعات، وفي مجالات متعددة النشاطات الحيوية للبشرية كافة. بل يمكن العثور على تعريفات عديدة مختلفة للمعرفة، ولكن غالبيتها تعالج المعرفة باعتبارها حالة ذهنية تتعلق بميدان خاص من المعلومات، كتعريف المعرفة على أنها أمر يقود إلى فعل وتأثير. لهذا، وبغية الوضوح في تعريف المعرفة لا بد من التمييز بين البيانات، والمعلومات، والمعرفة، والحكمة. فالمعرفة هي تلك المعلومات المتزاوجة مع الوسائل العملية التي يزداد تأثيرها ازديادًا كبيرًا عند تقاسمها. لنأخذ مثالاً التمييز التالي بين المعرفة والمعلومات[5]:

---

[4] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، (التراث العربي، م. 1987م)، ج24، ص133.

[5] الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، **منهجية إدارة المعرفة: مقاربة تجريبية في قطاعات مركزية في دول الإسكوا الأعضاء**، (نيويورك: 2004م).

1- المعرفة هي ما أعرفه **أنا**.

2- المعلومات هي ما نعرفه **نحن**.

ويفهم من هذا المعنى، أن العلم والمعرفة في العرف العام حقيقة مكتسبة، وتستخدمان مترادفتين في كثير من سياقات الكلام. وذلك لأن للعقل البشري قدرة على معرفة الأشياء باختلاف الاتجاهات الفكرية والمذهبية لدى الفلاسفة والمفكرين والمنظرين متخذين وسائل عديدة في الإثبات والبرهنة. فقد شاع في هذا العصر تعريف للمعرفة صدر عن منظمة اليونسكو وتبنته مختلف المؤسسات العلمية والثقافية على مستوى العالم بما فيه العالم الإسلامي، جاء في مضمونه "أن المعرفة كل معلوم خضع للحس والتجربة"[6]. وهناك من يعرف العلم والمعرفة على أساس وضوح المعلومات التي يتحقق من خلال عملية تحليل عناصرها وتعليل أسبابها، وتقويم نجاحها في تطبيقات عملية واقعية[7].

التصور العام للعلم والمعرفة

ومما تقدم من النقاش، يمكننا أن نعتبر العلم والمعرفة حقيقة حتمية، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا إيقافها من الوجود والنمو المستمر. والشيء الوحيد يحيرنا هنا، كيف يمكن للبشرية مع ما لديهم من العلم والمعرفة أن يعيشوا في تفرق وتحزب وشتات شرقا وغربا؟ وتفترض هذه الدراسة على أن الإجابة الوحيدة لهذا السؤال تعود إلى نوعية التصور تجاههما في حياة الفرد والجماعة. هناك من يتصور أن العلم والمعرفة نابعان من قدرة ذهنية مطلقة، أي لا دخل للقدرة البدنية. وبعبارة أكثر شمولا، أنه ينبع من تحليل المعلومات

---

[6] العلواني، **الأزمة الفكرية المعاصرة**.

[7] Goldman, A.I., 2006, Simulating minds: The philosophy, psychology and neoscience of mind-reading, 1st. Edn, Oxford University Press, USA.

واستعمال الخبرة في حل المشاكل وتوليد الأفكار أو نشرها. وبحسب هذا التصور فإن "العلم والمعرفة وجدا منذ حين وفي كل مجال تقريبًا. ذلك لأن البشرية يتعاطونهما من وقت إلى آخر في تحقيق حوائجهم المتعددة، وأن استخدامهما قائم أساسًا على أساليب تجديدية وإبداعية في التفكير مما يؤدي إلى قدر كبير من الدقة والاتساع في التعامل معهما تعاملا إداريا[8]. وأما ماهية هذا التصور تجاه العلم والمعرفة فيمكن توضيحه من خلال الشكل البياني الآتي:

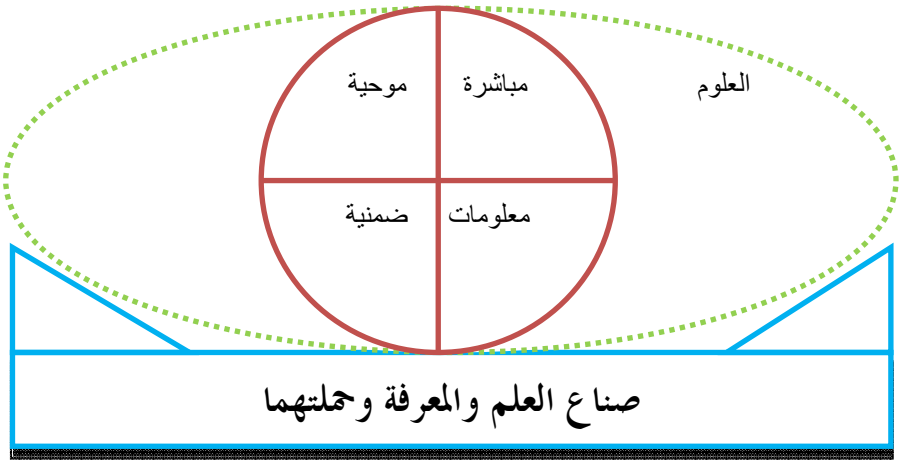

الشكل الرقم (1): العلاقات بين العلوم والمعارف في المنظور العام

الشكل البياني أعلاه يوضح عن طبيعة التصور العام تجاه العلم والمعرفة. بحيث إنه يرى لكل علم من العلوم له صناعه وحملته. وقد تنوع العلم والمعرفة إلى أنواع عديدة طبقًا للأحوال والأسباب، منها ما هي مباشرة صريحة، ومنها موحاة يوحى بها من قبل رب السماوات والأرض، ومنها ما هي معلومة من المعلومات الثابتة، ومنها أيضا ما هي ضمنية قياسية لا يدركها إلا العباقرة.

[8] Oh, H., 2000. "Corporate knowledge management and new challenges for human resources management".*Proceedings of the 2000 Academy of Human Resources Development Conference*.

التصور الإسلامي للعلم والمعرفة

يتميز التصور الإسلامي للعلم والمعرفة بخصائص ذاتية، تُعطي لذلك التصور أبعاده الدينية والعقلية والوجدانية معًا، لكي تجعل من ذلك التصور أداةً فعالة لإدراك الحقيقة إدراكا شاملا في إيصال العلم والمعرفة إلى أعماق النفس الإنسانية المتكونة من عوامل متعددة، وتسهم في تكوين ذاتية إنسانية ذات أبعاد تتجاوز حدود المنطق العقلي والإدراك المادي والانفعال العاطفي والحالات الجامدة. إن المعرفة في التصور الإسلامي فضيلة لابد أن يحتضن بها كل مسلم ومسلمة؛ لأنها مطلوبة لذاتها، والمال فضيلة مع أنه مطلوب لغيره، ولا فضيلة للمال إذا لم يُستخدَم استخداما مثاليا في خدمة الإنسان، بخلاف المعرفة فالأصل فيها أن تكون حقيقة علمية في الوجود قبل أن تكون أداةً يستعين بها الإنسان في أداء واجبه كخليفة في الأرض، وما كان كذلك فهو مطلوب لذاته؛ لأن الإنسان لا يكتمل وجوده الإنساني إلا به، أي بالعلم والمعرفة.

ومن ناحية أخرى، يمكننا أن نعتبر حياة الإنسان كلها قائمة على السعي الدؤوب في جمع العلم والمعرفة. فمنذ أن خلق الله آدم، وأنزله في الأرض، والإنسان يُعمل عقله وفكره، ويبحث عن أفضل السبل لممارسة الحياة فوق سطح الأرض، وتحقيق وظيفة الاستخلاف التي خلق اللهُ الإنسانَ من أجلها. ومنذ ذلك اليوم، والإنسان يمارس المحاولات الدائبة للمعرفة وفهم الكون الذي يعيش فيه. وظلت البشرية على مدار قرون طويلة تكتسب المعرفة بطريقة تلقائية مباشرة عن طريق استخدام الحواس الأساسية للإنسان. وهذه الحقيقة تتمثل في التوجيهات القرآنية الكثيرة، منها كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33)﴾.

تشير هذه الآيات إلى أن عملية التعلم قديمة قدم الإنسانية، والإنسان نفسه مطبوع في طلب العلم والبحث عنه طول حياته على وجه الأرض. وعليه أن يعيش بما يتفق مع سنة الله وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها. وفي هذا المعنى يتفق مع تعريف علم النفس الحديث للتعلم، والذي يعد أن عملية التعلم هي عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد، إلا أن الفرق بين وجهة النظر الإسلامية وعلم النفس الحديث في التعلم هي أن عملية التعلم من وجهة النظر الإسلامية هي عملية فطرية، أما من وجهة نظر علم النفس الحديث فلا يراعى معنى الفطرة في معالجته عملية التعليم، بل ينطلق من احتياجية النفس إلى الارتقاء والتطور من البقاء والحياة. ومن هنا ندرك أن التصور الإسلامي تجاه العلم والمعرفة أكثر عمقا من التصور العام. أجل لا أحد ينكر هذا؛ لأننا نرى أن الإسلام دين علم ومعرفة وحضارة. قلما نجد دينا حض أمته على العلم والتعلم أوضح من الدين الإسلامي، ويكرم الطالب العلم والعلماء، حيث اقترن مكانة العلم والمعرفة بالإيمان في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[المجادلة:11]. ويشير إلى هذا المعنى ما يروى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»[9].

بحيث يصرح ﷻ في الآيات السابقة لهذه الأمة بالسبيل الواضح في بناء المعرفة السليمة، ويصرح كذلك ﷻ بوعده الجازم في رفع درجات المؤمن الخالص، ثم العلماء العاملين بدرجات لا تحصى، ولافرق في الإسلام، بل لا فصل بين ما يسمى بالعلوم الدينية وما يسمى بالعلوم الدنيوية، مادام الهدف ساميًا، ومادام الإنسان يريد بالعلم وجه الله ﷻ. وعلى هذا المفهوم، قد بنى الإسلام أمته على أساس العلم والمعرفة بحيث نزل أول وحي على المصطفى ﷺ بصيغة الأمر: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. ويرفض التقليد أساسًا دينيًّا رفضًا باتًّا، لا استثناء فيه ولا جدال. ومن هنا لابد أن يحذر كل منا، ويراجع نفسه كيف بنى دينه ودنياه، ونحن نعيش كأمة وسطى في عصر متقلب متلهف، نعيش جنبا بجنب مع الآخرين الذين بنوا تصرفاتهم وسلوكياتهم اليومية على أساس القناعة العلمية والمنطقية السليمة. وأما نحن فظللنا نتحرك مع فكر الآخر فيما يملك من العناصر بعيدا عن قناعة عقلية حرة، لا نتحرك إلا بتحريكهم، ولا ننطلق من منطلق مسلم ذاتي، وأننا نقوم ونجلس محاكاةً للإنسان الآخر واتّباعًا له.

إن القرآن الكريم يحدِّثنا في أكثر من آية عن هؤلاء الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِم مُّقْتَدُونَ • قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف:23، 24]، وهو يحاكمهم كما في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170]. إن

---

[9] أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، في **سننه**، تحقيق أحمد شاكر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، ج5، ص29، رقم2647. وقال: "حسن غريب".

القرآن الكريم يحدثهم عن السلبيات التي تتكون في شخصياتنا عندما نكوِّن قناعاتنا من خلال آبائنا أو من خلال الأجواء الانفعالية المحيطة بنا؛ لأن قصة تقليد الآباء هي قصة تمثل نموذجًا من مسألة التقليد العاطفي أو الانفعالي، حتى أننا نرى في واقعنا المعاصر كثيرًا من الناس يقلدون الأقوياء أو الوجهاء أو الأغنياء، أو ما إلى ذلك مما استحدثه الناس من مظاهر التقدم والتحضر المسيطر على الفكر الاجتماعي المعاصر. هذا الواقع نفسه نجده في القرآن الكريم إلى جانب رفض تقليد الآباء والأجداد، حديثًا عن تقليد المستضعفين للمستكبرين وموقف الإسلام تجاههم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا • إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء:97، 98]. إن المسألة المطروحة في هذه الآية هي أن المستضعفين عندما يجدون أكثر من فرصة للتخلص من التقليد والمقالدة في الحياة (اجتماعية كانت أم نفسية)، فإنهم لن يكونوا معذورين أمام الله، لأن الضعف أمام الآخر لا يبرر لك أن تجعل فكرك ينحني أمام فكر الآخر، وأن تجعل إرادتك تسقط أمام إرادته؛ لأن الآخر بالنسبة إليك أستاذٌ تحاول أن تستهلك علمه، أو محاورٌ تحاول أن تدير معه حوارًا، ولكن الآخر ليس عنصر ضغط يلغي لك فكرك أو عقلك. واستمر القرآن في وصف تصرفات الضعفاء يوم القيامة، حيث يقول ﷻ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم:21]. وكأن هذا الإنسان المستضعف لا يملك فكره، إنه أسقط فكره من حيث أسقط إنسانيته وإرادته واتبع الشيطان كما ذكر ﷻ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا

كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:22]. إذن، فما هو الدافع إلى تلك المقالدة الفكرية أو الانتماء العقلي؟

وتلك هي المصادر لهذه الفكرة التي توضح عن أهمية العلم والمعرفة في حياة الإنسان هي فكرة قائمة على النظرة الشاملة نحو العلم والمعرفة التي يمكن تصويرها كما في الشكل البياني الآتي:

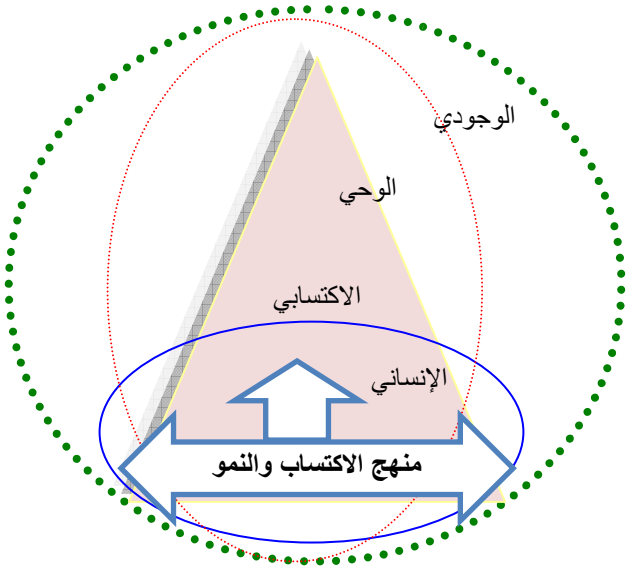

الشكل رقم (2): النظرة الشاملة إلى العلوم والمعارف من منظور الإسلام

الشكل أعلاه يوضح أن أصل العلم والمعرفة هبة من الله ﷻ للبشرية عبر القنوات العديدة كالوحي لرسله المرسلين، والسمع والبصر والفؤاد كوسيلة لاكتساب العلم والمعارف. لهذا، فعلى المسلم أن يجتهد في البحث عن العلم والمعرفة واستعابهما ليتسنى له توظيفهما في أداء واجباته وإكمال متطلباته

التكليفية[10]. والشكل أعلاه يوضح أيضا عن طبيعة العلوم والمعارف بكل أنواعها وعلاقة كل واحد منها بالآخر في جملة من التصور الشامل يرتبط كل واحد منها بالآخر في حدود إنسانية واضحة. وهذه النظرة تؤمن بأن العلوم كلها موجودة من صنع خالق السماوات والأرض. والبشرية على أساس كونها خليفة في الأرض مطالبة بالسعي لاكتساب العلم والمعرفة، وأنها مكلفة بالتكاليف الإسلامية بناءا عليهما.

إن المعرفة الحقة في الإسلام هي تلك المعرفة المبنية على منهج منظوم متماسك موحد، مع التركيز على الوشائج والعلاقات التي تربط بين جزئياتها بعضها ببعض. لذلك كان القرآن الكريم يعرض الأفكار والمفاهيم عرضًا شموليًّا يتضمن مقاصد الوحي، متخذًا من الكون والإنسان والحياة وعلاقتها بالخالق مصدرًا للمعرفة، ووسيلةً للقناعة وتثبيت الإيمان، حيث يقول ﷻ في سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5)﴾.

ومن هنا نلاحظ أن المسألة في القرآن تؤكد أن الإنسان يتحمل مسؤولية فكره من خلال المعرفة التي وصل إليه، وأن الله ﷻ يريد له أن يعيش أصالة في فكره، ويعيش في نمو حركية دينماكية مطلقة ذي فكر ووعي تام، حتى تنطلق المسؤولية من خلال حركة الذات في خط المسؤولية، حيث قال

---

[10] العطاس، سيد محمد النقيب، **المبادئ التعليمي في الإسلام**، (كوالا لمبور: منظمة الشباب المسلمين بماليزيا، 1991م).

ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ • لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:275-286].

مسألة مسؤولية الفكر لدى الإنسان هي مسألة أن الله يريد للإنسان أن يكون إنسانًا في صلابة عقله، وفي صلابة إرادته، وفي صلابة موقفه، وأن لا يكون الصدى، وأن لا يكون الظل، وأن لا يكون كمية مهملة لا معنى لها. ومن هذا المنطلق، أعلن ﷻ بعدم جواز سياسة الإكراه[11] في قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256].

إن المسالة هي أن الله لا يريد لنا أن نكره إنسانًا على الالتزام بأية قناعة خالية من الفكر، وأن مسألة الدين ليست من المسائل التي يمكن لإنسان أن يكره إنسانًا آخر عليها، وإنها مسألة الإيمان المبني على العلم والمعرفة، وليست من المسائل التي يمكن أن تخضع للضغط والإكراه، باعتبار أنها من تعليم الدين المقدس الذي لا يقبل النقاش ولا النظر الفكري، وأنها قضية ترجع إلى الادراك الوجداني للحقائق العلمية والمعرفية التي يتحرك بها العقل والمشاعر. وهكذا

[11] يرى البعض أن الإسلام دين يبني على إكراه وضغط على الناس لكي يسلموا أو يبقوا في الإسلام. فهو رأي خاطئ وصحيح من وجهين مختلفين: أولهما هو حرية الإيمان واستقلاله، فهو شيء لا يحتاج إلى النقاش؛ أما ثانيهما فهو قضية فرض النظام المعمول في مجتمع من المجتمعات فهي قضية خاضعة لمتطلبات خارجية عن ذاتية الدين الإسلامي نفسه. إن النظام بطبيعته لابد أن يطبق كما هو وبوصف نظام ولإرساء قواعدها والحفاظ على الاستقرار والأمن الاجتماعي وضبط السلوك الفردي، لاغير.

مسألة النظام والقانون، قد يستطيع أحد أن يضغط على أحد آخر بالحبس في زنزانة مثلا من أجل الخضوع إلى النظام، ولكنه لا يستطيع أن يحرك أي مفصل من مفاصل عقله ووجدانه تجاه حقيقة من الحقائق، مهما يكن من الضغط عليه بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

ومن هنا يأتي دور الكلمة في تمثيل العلم والمعرفة والثقافة والحضارة التي يمكن إيصالها إلى الناس جميعهم. إن الإسلام ينظر إلى العلم والمعرفة نظرة ذات مكان وإجلال. وأن القرآن الكريم نفسه أول ما يدعو إليه البشرية هو الدعوة إلى العلم والمعرفة والسعي إليهما بواسطة القراءة والقلم كما في قوله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق].

ويسعى الإسلام أيضا إلى تبصير البشرية بالحقائق المصفاة من الدغل والتدليس والتلبيس، كقوله ﷻ: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ (6) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة ن]، ويحذر الله ﷻ عباده المؤمنين من مقالدة أهل الكتاب في تعاملهم مع الحقائق العلمية، وفي تحريف الحق وتلبيسه بالباطل بقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:42].

وهذا يعني، أن أول آية قرآنية لامست قلب الرسول فكانت تحثه على العلم والاهتمام بالمعرفة، لكونهما في عرف الإسلام هي الوسيلة لإدراك الحق وتمييزه عن الباطل، وأنه لا ثانية له، فعلى المسلم أن يجتهد في الحصول عليه ليصبح قادرًا في إدراك الحق وتسعى للعمل من أجله[12]. وأن السعي في طلب

[12] وفي هذه المناسبة، كما تقول قاعدة فقهية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

المعرفة محكوم في منطق القرآن الكريم الذي حدد الوسائل العملية والعقلية السليمة إليها من السمع والبصر والفؤاد، والوحي وطلب بشكر المنعم سبحانه في آيات متعددة منها قوله ﷻ: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]، وقوله أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:7].

فالسمع والبصر كما في الآية هما رمزان للأدوات الحسيّة، كما أن الفؤاد كناية عن العقل والمدركات الفكرية، فالحس والعقل هما المعتمدان عند الشريعة من بين أدوات المعرفة لأنهما الأكثر صوابا والأعظم نتيجة، ذلك لأن العلم لا يحصل إلا عن طريق الفؤاد أي العقل. ثم مما لا شك فيه، أن معرفتنا للعالم الخارجي لا تحصل بصورة مباشرة، وإنما تتم عن طريق السمع والبصر، وذلك بعد التقاط المعلومات المتعلقة، وإرسالها إلى عقولنا بغية فهمها وتحليلها والاستنتاج منها ليصل ذلك الفؤاد إلى قرار حكيم في كل أوامر ترسل إلى أعضاء الجسد.

وظيفة العلم والمعرفة في منظور الإسلام

كما يقول المثل العربي "العلم نور، والجهل ظلام"، وهو شعار طالما سمعنا منذ كنا صغارًا، وهو شعار للتشجيع على العلم والتعلم والتقدم، وهو شعار لابد من تفهمه وإدراك حقيقته. إن العلم نور يستضاء به، وأصبح من حق كل إنسان معرفة ما يُخصّ حياته التي يعيشها اليوم، كما يحق له معرفة حالته السابقة، وله أيضا حق معرفة ما سيلحق به بعد حياته هذه، بل العقل يحكم بوجوب تحصيل معرفة الأمور التي تخصه. ومن جانب آخر فإن أي تقدم يمكن أن يحققه الإنسان في حياته، إنما يتحقق من خلال وجود معرفة صحيحة

دقيقة، ثم العمل بتلك المعرفة والتمسك بها. ومن الواضح جدا أنه لا يمكن وضع أي تخطيط للحياة والتقدم فيها إلا بالاعتماد عليها اعتمادا صحيحا كما سنها الله في كونه ومخلوقاته. وأن المعرفة الأصيلة بطبيعتها منبثقة من سنة الله في الكون وفي الوجود، وبها أصبحت تلك المعرفة مؤثرة حيوية مستمرة في المفاهيم الحضارية وفي السلوك الكونية، وذلك لأنها تتولد من تصور واضح عن الإنسان والكون ومجراهما في الواقع العملي. ومن أجل هذا، يصبح الإنسان لا يستغني عن تحصيل المعرفة في كل خطوة يخطوها ومع كل عمل يقوم به، وإلى هذه الحقيقة يُشير الإسلام بمصدريه: القرآن والأحاديث المروية الكثيرة توجيها للبشرية في ضبط مسار حياتهم الدنيوية والأخروية.

ومن هنا، ثبت أن مفهوم العلم والمعرفة في المنظور الإسلامي مرتبط بالإنسان، خاصة في أداء واجبه خليفة في الأرض، مكلفا بالشريعة والعبودية. والمعرفة الحقّة هي المعرفة التي تقرّب الإنسان من حقيقته الإنسانية وتعرفه على ذاته وكيانه، وتفسّر له موقعه الحقيقي من الوجود وفي الوجود، وكلما اقتربت المعرفة من الإنسان كانت أكثر أهمية له، والمعرفة التي لا تسهم في نمو الإنسان، ولا تنمي لديه الإدراك بما حوله، ولا تفيده في حياته لا يمكن اعتبارها مفيدة، وقد تكون معرفة ضارة.

ومن هذا المنطلق قسم الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" العلوم إلى قسمين: محمودة ومذمومة، والحكم على علم من العلوم ينطلق من منطلق موضوعي لا يتجاوز علاقته بالإنسان، فالعلم المحمود هو العلم النافع له، والعلم المذموم هو العلم الضار له، وهذا العلم قد يلحق الضرر بالإنسان نفسه، وقد يلحق الضرر بغيره، وقد يلحق الضرر بالمجتمع كله، وذلك عند ما يصرف ذلك المجتمع عن قضاياه المفيدة إلى قضايا ليست مفيدة، وما انعدمت الفائدة فيه

فالجهد فيه ضائع، والجهود الضائعة ضارة[13]. وذلك المفهوم الوظيفي للعلم والمعرفة في الإسلام يمكن توضيحه بالشكل البياني الآتي:

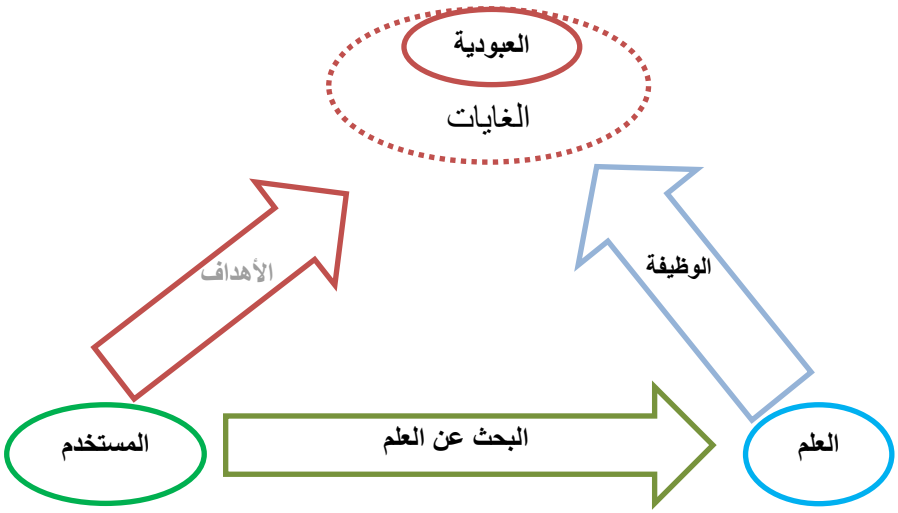

الشكل الرقم (3): الاتجاه الوظيفي للعلم في منظور الإسلام

ومن خلال الشكل البياني أعلاه تتضح فكرة الوظائف لعلم من العلوم، وأن وجوده لا يأتي من فراغ، وأن حركة العلم نفسه تنطلق أصلا من حاجة المستخدم إلى ذلك العلم، وأن الإنسان يحتاج إلى علم من العلوم بفطرته التي فطر الله عليها كما سبق ذكره. وبتعبير آخر، أن وظائف علم من العلوم لابد أن تنسجم مع أهداف المستخدم، أي لايتصور أحد يستخدم علما من العلوم وكان وظيفة ذلك العلم لاينسجم مع أهدافه الخاصة. ويفيد هذا المعنى أيضا، على أن المستخدم يبذل جهده في البحث عن العلم المناسب لهدفه، وأن استخدامه لعلم من العلوم لاينبغي أن يكون عشوائيا من دون بحث ولا تخطيط. ومن هنا اتضحت أهمية إدارة المعرفة في حياة الإنسان من منظور الإسلام،

---

[13] مصطفى حوامده، **منهج القرآن الكريم في البناء المعرفي**، أبحاث اليرموك لسلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 21/ع4 (أ)، كانون الأول 2005م، ص1151.

وخاصة عندما يريد ذلك الإنسان تحقيق غاية العبودية في استخدامه لعلم من العلوم.

أثر التصور الإسلامي للعلم والمعرفة في إدارة المعرفة

يعد البحث في القضايا الإدارية بحثا شائقا وذات أهمية قصوى، لأنه بطبيعته تعني تتبع النشاطات البشرية وفهم اتجهاتها ومؤثراتها التي تؤدي في النهاية إلى إدراك إشكاليتها الحالية، و تنبئ بمستقبلها وما تحتاج إليها. وجرت العادة في مثل هذا السياق إعطاء تعريف خاص للمصطلحات التي يدور البحث حولها.

مفهوم الإدارة لغة واصطلاحا:

الإدارة لغة كما سجله "معجم الوسيط" مصدر أَدَارَ يُدِيرُ، يقال؛ أدار الرجل عن الأمر: حاول منه أن يتركه. وأدار الرجل على الأمر: حاول منه أن يفعله. أما التعريف الاصطلاحي للإدارة فهي من الأمور التي لا ينبغي التساهل بها. وقد تعددت المحاولات في وضع التعريف الشامل لها، ويفترض البحث هنا أن سبب تعدد تلك التعريفات هو شيوع استخدام مصطلح الإدارة في أكثر من مجال كالعلوم التجارية والسياسية وما شابه ذلك. هذا يعني أن مفهوم الإدارة واسع المجال، وأنها ليست مجرد مصطلح عام مبهم، وأكثر من ذلك فهي علم وفن في آن واحد، ولها أهميتها وخصوصيتها. أما فكرة الإدارة فيمكن أن نلخصها بأنها مؤخوذة من أصل لاتيني (administer) والذي يضم مقطعين؛ هما: (ad) + (ministrave) التي تفيد معنى "يخدم". فالإدارة واستنادا لهذه النتيجة هي خدمة يقدمها شخص لشخص آخر. وهذا يعني أيضا، أن الإدارة تمثل عملية تنفيذية اجتماعية مستمرة تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالا أمثل (بشرية كانت تلك الموارد أم آلية) عن طريق التخطيط والتنظيم والقيادة

والرقابة للوصول إلى هدف محدد، بحيث يتحقق من خلاله نوع من التعاون والتنسيق الاستثماري[14].

نلاحظ مما تقدم من النقاش، أن الإدارة علم وفن معا، فأيهما بدون الآخر يكون ناقصا، فالعلم عبارة عن مجموعة قوانين ونظريات ومبادئ يلزم على المدير استيعابها سلفًا قبل صدور الأوامر والقرارات حتى يطبق كل شيء في موضعه الصحيح، مثلا يلزم أن يعرف لزوم مسك المعلومات وتسجيل كل وارد وصادر، وضبط الوقت ومعرفة الحدّ بين المبدأ والهدف، إلى غير ذلك. ثم يأتي الدور الفني وهو ما يعتمد على الموهبة الشخصية والخبرة العملية والمهارة الفردية في استنباط طرق تنفيذية نموذجية في مراقبة الضوابط والمقادير القياسية التي تحقق الغايات المنشودة للإدارة[15].

أما الإدارة من المنظور الإسلامي فيمكننا أن نعتبرها بمعنى تحمل المسؤولية كالولاية أو الرعاية أو الأمانة التي تتطلب من شخص أداء الواجب فيها. هذا المعنى مستنبط من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء:58]. ولقد فسرت كلمة "الأمانات" بأنها تعني الوظائف العامة، كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ في حديث الرسول ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة». قيل يا رسول الله: وما

[14] أحمد بن داود المزجاجي، مقدمة في الإدارة الإسلامية، (جدة: المملكة السعودية، 2000م).

[15] Sowell, T., 1980, Knowledge and decisions, New York: Basic Books.

أضاعتها؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة»[16]. وقال ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»[17].

مفهوم إدارة المعرفة:

أما إدارة المعرفة أو إدارة المعلومات فهي ليست بدعة من بدع الإدارة التي تظهر لفترة ثم تزول، بل لها مكانة تخصصية مهمة في مجالات كثيرة لاسيما في قطاع الأعمال، والتطبيق المباشر من الشركات العملاقة الناجحة لإدارة المعرفة واستحداث الأقسام والوظائف المتخصصة في هذا المجال. وقد ظهرت شركات جديدة تخصصت في إدارة المعرفة وحلولها واستشاراتها وبرامجها وأنظمتها بالإضافة إلى المؤتمرات والمعارض، التي تقام حول العالم لاستيعاب هذا السوق المطرد النمو. ومن الدلائل الواقعية على أن إدارة المعرفة ليست أطروحات فكرية أو نظريات مجردة، بل واقع ملموس يظهر من خلال تصريحات تقر بها الشركات التجارية والمؤسسات والهيئات في تجربة إعادة وضع استراتيجياتها التنفيذية مبنيا على وضع خطة جديدة في إدارة المعرفة الخاصة للقطاعات المعنية لها، وللحفاظ على ما تملكه الشركة من معارف ثمينة تضمن البقاء واستمرارية المعرفة للأجيال الجديدة، من دون أي تأخير يعيق التقدم والتطور وبسرعة تنسجم مع عصرها وأهمية مساهمتها. ومن هذا المنطلق، أي تعامل مع علم من العلوم بطريقة عشوائية تؤدي إلى حياة فوضاوية تنتشر فيها معارف متناقضة ومعلومات مزيفة[18].

---

[16] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج5، ص2382، رقم6131.

[17] الصباغ، عماد، **إدارة المعرفة ودورها في إرساء مجتمع المعلومات [على الخط]**. [2006.05.02]. والحديث أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج2، ص848، رقم2278.

[18] Osman Bakar, 2008, Classification of Knowledge, IAIS. Malaysia.

نعم، ففي الماضي كان النجاح حليفا للشركات التي تمتلك رأس المال والموارد الطبيعية المتوفرة، أما في وقتنا الحاضر فقد أضيف عامل آخر مهم إلى مجموعة المعايير لقياس النجاح وهو الاستفادة من المعرفة. وبعبارة أخرى إن امتلاك المعرفة ووضعها موضع التنفيذ الحكيم هي الطريقة الوحيدة للنجاح في عالم اليوم[19]. إن التقدم ورفاهية الأمم والمؤسسات والأفراد يعتمد اعتمادا كليا على طريقة الاستخدام الأمثل للعلم والمعرفة، أو ما يسمى بإدارة المعرفة التي قد بدأت أصلا كأسلوب منهجي للتنمية في القطاع الخاص لمساعدة المؤسسة في تخطيط نحو تحسين الأداء أو ازدياد المنتجات أو محاولة إرجاع وضع القطاع في مساره الصحيح.

ومن الواضح من المناقشات السابقة، أن الإسلام دين علم ومعرفة. وأن الله قد ابتدأ وحيه إلى نبيه المصطفى ﷺ بأمر القراءة التي اشترط فيها بسمه تعالى، ثم وصف نفسه تعالى بأن تعليمه بالقلم، وتعليمه ما لم يعلمه الإنسان. وهذه البيانات أثبتت وجود الأثر المباشر للتصور الإسلامي للعلم والمعرفة في طريقة إدارة المعرفة عند المستخدمين المعتمدين على مصادر الإسلام في اكتسابهم للعلم والمعرفة. وأما شكلية هذه الإدارة للمعرفة التي تتأثر بالتصور الإسلامي يمكن توضيحه من خلال الشكل البياني الآتي:

---

[19] Peter Drucker, F., 1992, Managing for the Future, 1st. Edn., Butterworth-Heinemann,Oxford.

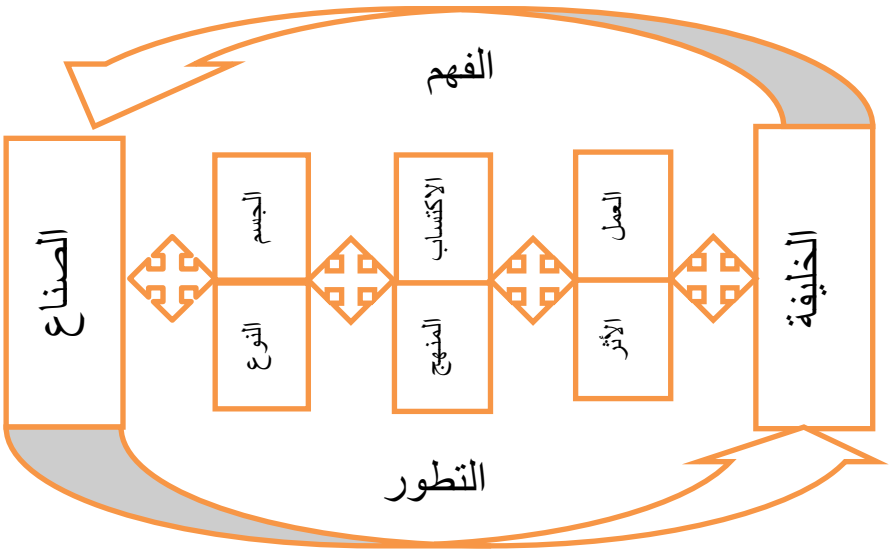

الشكل الرقم (4): أثر التصور الإسلامي للعلم والمعرفة في إدارة المعرفة[20]

الشكل البياني أعلاه يوضح وجود العلاقة التفاعلية بين صناع العلم والمعرفة (-أو مصدرهما-) وبين المستفيدين بهما من ناحية تطورهما حسب الأحوال والتنويع وكذلك من ناحية فهم علم من العلوم أو إدارك معرفة من المعارف التي يتعاملون معها في حياتهم كخليفة في الأرض، أو كمدير لمؤسسة من المؤسسات. والشكل البياني أيضا يوضح على أنه لا يجوز للإنسان أن يعيش في أي حال من الأحوال بدون العلم والمعرفة بذلك الحال. وهذا يتنافى مع عقله وفطرته كخليفة في الأرض، وكمكلف بتكاليف الشريعة. إضافة إلى ذلك، وما أكثر الادعاءات اللادينية في هذا العصر، ولكن ثبت بطلان هذا الاتجاه في الآونة الأخيرة، وخاصة عندما يواجه الأسئلة الآتية:

أ. هل يمكن أن يعيش الإنسان كخليفة في الأرض بدون العلم؟

ب. وهل يمكن أن يتحقق الإيمان بالشيء من دون علم به؟ بل، أهناك إيمان بلا علم؟

[20] MuhamadulBakirHj. Yaakub, 2011, "Islamic Conceptualisation of Knowledge Management", American Journal of Economics and Business Administration, 3(2):363-369.

ج. وما فائدة من يدعي أنه عالم بعلم من العلوم، وهو يعيش بلا معرفة عن ذلك العلم؟

د. وكيف يمكن له أن يثبت صحة معرفته عن ذلك العلم وهو يعيشو لم يعمل بذلك العلم؟

ه. وفي نهاية المطاف، ماذا انطباعه تجاه نوعية عمله الذي قام به من دون العلم؟ أهو سعيد!

وفي هذا السياق نتذكر قوله تعالى: ﴿اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:105]. ومما لاشك فيه، أن الله تعالى لا ينظر إلى علم الإنسان بذاته، ولكن ينظر إلى طريقته التي اكتسب بها ذلك العلم والمعرفة، وذلك لأن تلك الطريقة سوف تؤثر في نوعية التطبيق بهما. وأن العمل الذي قام به الإنسان في الحقيقة مبني على نوعية المعرفة وإدراكه لحقيقتها، وأهدافه في استخدامها. وهذا يعني أن عمله هو انعكاس لتلك المعرفة المخزونة في نفسه. وإذا كانت تلك المعرفة صحيحة وسليمة فسوف نجد عمله صحيحة وسليمة كذلك.

الاستنتاجات والاقتراحات

قد اتضح من تحليلات هذه الدراسة، أن مفهوم العلم والمعرفة في تصور الإسلام يختلف اختلافا جزريا مقارنا بالتصور العام. ويكون من المنطق أن تستنج هذه الدراسة وجود العلاقة المضطردة بين التصور الإسلامي للعلم والمعرفة وبين نظرية إدارة المعرفة، حيث إن الثاني يمثل امتدادا لممارسة العلم والمعرفة. والإسلام كما سبق ذكره هو دين علم ومعرفة في سلوك الأفراد وممارسات المجتمع. العلم والمعرفة لا يراد بهما في الإسلام مجرد المفاهيم الاصطلاحية، ولكن لابد من أن يكون منبثقا من أخلاقيات الصدق وإيجابية الأهداف وديناميكية الوظائف.

وهذا يعني أن التصور الإسلامي للعلم والمعرفة منبثق من شمولية التعريف الاصطلاحي لكل واحد منها. ومن تلك الشمولية اتضحت ملامح تأثير هذا التصور

على نوعية إدارة المعرفة التي يمارسها المستخدم، وفعالية هذه النوعية من حيث تحديد نوعية العلم والمعرفة ووظائهما من جانب، وتلائم تلك النوعية بأهداف المستخدم في استخدام العلم والمعرفة من تحقيق النمو المعرفي والتقدم المادي وازدياد المنتجات وتحسين القيمة وغيرها.

وتستنج الدراسة أيضا أنه إذا ما تم تنفيذ العلوم والمعارف حسب الكيفيات المطلوبة عبر إعادة التشكيل النموذجي والتوزيع الموازي والتفعيل الحكيم فسوف تتحقق أهداف المستخدم بشكل صحيح وسليم. وبالتالي، فيمكن للمستخدم أن يشاهد كيف للعلموالمعرفة أن يعطيا عوائد ضخمة له أو لمؤسسته ثمرة استخدامه لإدارة المعرفة إدارة صحيحة، سواء كانت من ناحية ازدياد نسبة موارد الدخل أو من ناحية استرجاعها إلى مسارها الصحيح.

الخلاصة

ومما تقدم نقاشه، تستخلص هذه الدراسة على أن الإسلام لا مراء فيه، يدعو إلى العلم والتقدم الذي تستفيد منه الحضارة الإنسانية، وما كانت البشرية لتصل إلى ما وصلت إليه لولا إنتاج العقل المبنى على العلم والإدراك المعرفي. والعقل لابد أن يدعم بالعلم والمعرفة ليعرف ما يجب أن يقوم بها من تحليل وإصدار قرار. وعملية تحليل المعلومات واستنباط القرارات تحتاج إلى مهارة إدارية حكيمة للعلم والمعرفة، وهي تلك المهارة المنبثقة من التصورات الواضحة فيهما، المتفاعلة مع الوظائف العملية لهما والأهداف الصالحة في ممارسة العلم والمعرفة، وهي المهارة القادرة من توحيد كل العلوم والمعارف في نسق متلاسقة الروابط ومتلائمة العناصر الكونية والفطرية التي فطر الله البشرية عليها. ومن خلال هذه النسق، أصبحت تلك العلوم والمعارف قابلة للتخزين، وتجهيزا لاستخدام حسب احتياجات حركة العمل والإنتاج.